

بين ضحكه و بكائه وقفة مع شيخ الرواة

[٢٠٠٨، ٢٩/١١/٢٠١٧] احمد حسن البقشي: بين ضحكه و بكائه وقفة مع شيخ الرواة .

إذا دخلت لمجلسه أول مرة رحمه سوف تشدك ابتسامة عريضة هي مدخله الاول للترحيب بك و سوف يحبك كثيرا حتى يتسلل بلباقة و دبلوماسية لمعرفة شخصك و غالبا ما سوف تندعش بمعرفته لأحد والديك أو أقاربك فسمته الاجتماعية منذ الطفولة رفعت رصيد أصدقائه و معارفه عبر التواصل الاجتماعي و العملي و رحلات السفر .

تلك الابتسامة التي يحتفظ بها كانت مدخلا للقبول حتى قال العم محمد العلي البقشي: ينفذ إلى قلبك كما ينفذ النوم من حيث لا تشعر ! .

فقد كان حديثه اللبق الشهي المطرز بالعبارات الفخمة و المزين برخامة صوته يأسر مستمعيه، و بمهاراته تلك يطعم ذلك الحديث الشهي بطرائف جمة محكمة الصياغة .

لكن كيف كان يحكم تلك النوادر ؟

بداية لا بد أن نلاحظ أن احتياجا لفطرة من النباهة و قوة السليقة يشحذها هي الشرارة الاولى التي تجعل الانسان الصاحك كالمرحوم أبي سعيد يلتقط الموقف بدقة و يكسوه حلة باسمه .

و مما يميز كل ضاحك هو ثراؤه اللغوي السوري فمفردة أبي سعيد مفردة متحركة و ادوات تحريكه هي الغوص في التفاصيل و البراعة في رسم الظلال لاي مشهد يصفه بلغته الحساوية المفعمة بالغنى ؛ فوصف مشهد لحركة فلاح او وصف تدفق نهر أو امرأة بدى عليها علامات الشيخوخة كل تلك المشاهد تستحيل في ذهنة إلى لوحات ثلاثة او رباعية الابعاد او اكثر من ذلك، و بذلك ينتصر دائما على جلسائه و ينتزع منهم الضحكة باحترافية .

ثم لا يكفيه ذلك حتى يتبع أي مشهد أو أي طرفة بأبيات شعرية فصحة أو شعبية من حفظه أو نظيمه تطعم الاجواء بنكهة إضافية لا تخلو غالبا من الأدب المكشوف أو الالامحات الطريفة لخطيب الطرافة ملا احمد الرمل رحمه الله و آخرين أو حتى قصائد بن المقرب في الحماسة و الاعتداد بالنفس التي يحفظ ديوانه عن طهر قلب و له فيه بعض الآراء .

و في الجانب المقابل كنت ادخل عليه مرارا في ايام العشرة من محرم لأحد الدموع تغطي وجنتيه و هو يتلو مطولات السيدين الحليين أو الصالحين الكواز و التميمي أو الحاج هاشم الكعبي أو غيرها من جزيلات القصائد ثم يردفها ببعض شعبيات بن نزار أو الدكسن أو ملا علي بن فايز أو ملا عطية .

و نظرا لقربي الماس به سيما في السنين العشر الأخيرة من حياته - رحمه الله - كنت اتلمس أنه للبشر و الضحك اقرب لذا عندما وضع على شفير القبر جلست في حالة ذهول قريبا من رأسه و كنت اتساءل :

اهل سيسفر عن وجهه الآن و سيلقي لي طرفة من طرفه ؟ !.

إذا دخلت لمجلسه أول مرة رحمه سوف تشدك ابتسامة عريضة هي مدخله الاول للترحيب بك و سوف يحييك كثيرا حتى يتسلل بلباقة و دبلوماسية لمعرفة شخصك و غالبا ما سوف تندعش بمعرفته لأحد والديك أو أقاربك فسمته الاجتماعية منذ الطفولة رفعت رصيد أصدقائه و معارفه عبر التواصل الاجتماعي و العملي و رحلات السفر .

تلك الابتسامة التي يحتفظ بها كانت مدخلا للقبول حتى قال العم محمد العلي البقشي: ينفذ إلى قلبك كما ينفذ النوم من حيث لا تشعر ! .

فقد كان حديثه اللبق الشهى المطرز بالعبارات الفخمة و المزين برخامة صوته يأسر مستمعيه، و بمهاراته تلك يطعم ذلك الحديث الشهى بطرائف جمّة محكمة الصياغة .

لكن كيف كان يحكم تلك النوادر ؟

بداية لا بد أن نلاحظ أن احتياجا لفطرة من النباهة و قوة السليقة يشحذها هي الشرارة الاولى التي تجعل الانسان الضاحك كالمرحوم أبي سعيد يلتقط الموقف بدقة و يكسوه حلة باسمه .

و مما يميز كل ضاحك هو ثراؤه اللغوي الصوري فمفردة أبي سعيد مفردة متحركة و ادوات تحريكه هي الغوص في التفاصيل و البراعة في رسم الظلال لاي مشهد يصفه بلغته الحساوية المفعمة بالغنى ؛ فوصف مشهد لحركة فلاح او وصف تدفق نهر أو امرأة بدى عليها علامات الشيخوخة كل تلك المشاهد تستحيل في ذهنة إلى لوحات ثلاثة او رباعية الابعاد او اكثر من ذلك، و بذلك ينتصر دائما على جلسائه و ينتزع منهم الصحة باحترافية .

ثم لا يكفيه ذلك حتى يتبع أي مشهد او اي طرفة بأبيات شعرية فصحا او شعبية من حفظه أو نظيمه تطعم الاجواء بنكهة إضافية لا تخلو غالبا من الأدب المكشوف أو الالامحات الطريفة لخطيب الطرافة ملا احمد الرمل رحمه الله و آخرين أو حتى قصائد بن المقرب في الحماسة و الاعتداد بالنفس التي يحفظ ديوانه عن طهر قلب و له فيه بعض الآراء .

و في الجانب المقابل كنت ادخل عليه مرارا في ايام العشرة من محرم لأحد الدموع تغطي وجنتيه و هو يتلو مطولات السيدين الحليين او الصالحين الكواز و التميمي او الحاج هاشم الكعبي او غيرها من جزيلات القصائد ثم يردفها ببعض شعبيات بن نزار او الدكسن او ملا علي بن فايز او ملا عطية .

و نظرا لقربي الماس به سيما في السنين العشر الأخيرة من حياته - رحمه الله - كنت اتلمس أنه للبشر و الضحك اقرب لذا عندما وضع على شفير القبر جلست في حالة ذهول قريبا من رأسه و كنت اتساءل :

اهل سيسفر عن وجهه الآن و سيلقي لي طرفة من طرفه ؟ ! .